يغسل ولا يفتشون سرك ولا يعسون عليك كلامك ولا يحولون بينك وبين ربك جل وعلا
ودينك كما قتل ولدوكم اهلوكم سيد عليس وارتطم هلوك وعرفا جيل
هم الاهل الامستودع السر دايع لديهم ولا الجاني بما جر يقتل فانظر الى هذا العربي
مع غلظ طبعه وجاهليته وغفلته عن معرفة دينه ومصلحة اخرته كيف نفر عن اهله
وحمله لهلاك من الدباب والسباع وذكر وصفهم بما ذكر مع حلوا عليهم بما ذكر اولا من صفاتهم
وشدتها ومحاسنها ودقائق عقلهم واما ذا الا ارادي الناس الذي مرد لله اعاد ما الله وانا اكثر
من سرورهم في الدنيا والاخرة وقد قيل

ولقد بلوت الناس في احوالهم وحكمت اسرار القلوب بمسلقي فرايت غشا في البواطن كلها وظواهر
تبدو الحسن تلقى فيعقب لي ثنايا عن وصفهم ودعوت ربي بعدها لا يلقني وتخصص كل الصحب من احبه
ان لا يصاحب غير خل متقي وقال عنري عوى الذئب فاستانست بالذئب اذ عوى
وصوت انسان فكدت اطير وما ذا الا لعلمه انه لا يقدر على التخلص من الناس وقد حرمت
ذلك وحرمه عنري قال انست بوحدتي حتى لو اني رايت ابي اذا انفردت منه ولم يدع
التجارب لي صديقا اسلا انه الا ملك عنه وهذا كلام من قدر على الوحدة ولزم
العزلة فكيف من لا وصول له الى ذلك ولا له قدرة عليها لما كلف من الاتعاب والاصحاب
من كثرة العيال وحمل الاثقال ولا يسعه الانقطاع مع كثرة الاوجاع وما حلت عليه
الطباع من عدم تصنع الحريم وسرورهم عن الرئي والسقم وقد كلف في السرع
العام عليهم في السير والقوت ما ورد في الحديث نفي بالمرا اليمان يصنع من تحول يقوت
هو في الحال مع وجود هذه الاثقال لا يدري لعله يحيى ولا يعلم يموت وقد قيل
لولا العيال الذي خلفت ما لهم حام يذودهم في الورد والصدر لكنت اسطح في
الاكوان منفردا ولم يقع عثرة عني ولا اثري وقد وقعت الحسرة والحيرة في الحيرة وقد
حار الحيرة في نفسها وليس الا الالتجا الى الله تعالى والتفويض اليه والتوكل في جميع الاحوال
والاعتماد عليه هو المفرج للكرب والموصل للطلب والمبلغ من الارب وقد
قيل يا من يشكو الضر والالما وان تفعل ما تختار فمنه وما لفعله اثر
لا وليس وما فان يرده يحسن هو فاعله وان يرد ضره فالعكس قد فهما وقد حيرت
في قولي وفي عملي فيما يريد ولا ادري لا يما اني هذا صلاة ليس يدركه اهل
الصلاة هذا يرى في الجمع عمى والامر ملك حقيقة ليس يدفعه عن الانام سوى من عقله
سقما وليس الا الاله ارجوه واسئله يا من رجاه لكل المدنين حما ولقد اعرف قصر راي في نامه
كان المكان الذي يسلك فيه كله حاف مختلف الالوان وهو يمشي بهم على اطراف الاصابع وقال
يقول له ان اردت السلامة فلا تخرج من بيتك الا بعد المغرب ثم راى بعد ذلك وحوشا
كالسباع والتماسيح وغيرها وهو يابه ثم راى بعد ذلك اشخاصا من الادميين رعاكا كان
عيهم وبالقوة تحدث بعد ذلك له من الاشخاص من الادمي كثير جدا اوعرف فقيرا قال له

صديق

صديق واخاه ممن يعتقد فيه الدين والصلاح والطهور بذلك وهو بلاد والاخر بلاد
لا يجتمعان الا بعد سفر بعيد فربما وافق جماعة عليه وقد يكون جمعهم على نفسه فحصل بينهما ما
حصل من الوحشة فقلت اعجب امر ان لا بعد عاما ثنا اجاد امر لك الاخا والصافيا
دخر بينهما البعد ونصرت لي عدو اوسهما ما بي مرعد اما فلست لاتب العدو ولم يكن صديقا
تسعى لاجلي ولا ليا فلا اراد الى البعد الا تقاصا ولا اراد الا تمام الاتحاد ما واعرف
شخصا احس الى شخص حتى بلغ فيه حد الجهد وعادى عليه جهدا كثيرا وعرض نفسه للاذى
لنفسه فلم يزل الا ان وجد في نفسه انه عاد له قوة وعصبة تحمل على اتصال ذلك الذي
احس انه من كل الاذى الذي وصل الجهد اليه ورى بيده وبين الناس من المعاداة وعاد بها
ما هي سدا للهلاك واعرف ممن احسن الله ما شي جماعة حتى لا اكاد احصي منهم الا المتعينين
ومن له منصب دنيوي وهم كثير والله المستعان فليحذر الطالب لاخرته والسالك طريق
سعادته والقاصد وجه ربه عز وجل من مخالطة الناس كيف قد يجد الجهد والاستطاعة
في العزلة السلامة والسلامة خير من المخاطرة في طلب الفائدة لا سيما مع تحصيل النفس
وحدثني القاضي تاج الدين ابن السبكي انه كان له صاحب وكان يأتي الله ويبيت عنده الليلة
والثلاثة في المدرسة التي هم بها فلما حصل له ممن اجتمع به القاضي تاج الدين فقال
له اي شيء كان فلا فقلت مصر فقال في اي فقلت في المدرسة فقال ومدرستكم
في اي موضع له الجهة الى ان قال اود لو موضع البعد به الى الخبرة فانظر الى هذه الحكاية
ما اغربها كانه لم يعرف المكان ولا بات فيه فلله در ما من صحبة الناس مطلقا الى
من يخفف ولاسيما ودينه ومروته وصونه وعلمه وعمله بالفائدة في الاجتماع بمثله
ظاهره وحتى يوجد هذه الاوصاف وان وجد سفر لمعرفته بالناس الا ان يكون اماما
موصلا الى الله تعالى كاملا فانه يحمل الاثقال ولقد اعرف جماعة ارباب مناصب
دينية وظهور هم بذلك مشهور يحب تعديهم فان لهم صاحب معتقد فيهم بالاخوة والصحبة
للاخرة والاعانة في الدنيا والاخرة حصر لهم يحصر جاهل اسما لهم نسي وقصد اذا صاحبهم
فرجعوا عن صاحبهم وادوه بكل الاذى حتى لم يسعوا ما يقدروا عليه شيء حتى وصلوا في
امره الى ارباب الامور والدنيا يحب وعجب ما فيها فلا يتهاونوا بها علما الاعتبي جاهلا او
محبوب الفعل عن الله غافل ولقد احسن الشافعي رحمه الله حيث يقول الدنيا فلم ار فيهم سوى
عاذر والبعد وحشوشيا به فجرت من غدر القناعة صار ما قطعت رجاي منهم بدماء فلا ترى
واعاقي طرفه ولا ابرا في فاتحة بدماء فكيف قدرت على التخلص من سيات الناس فهو من العصمة
وقد قال خال الصديق وقال الناس كثير الا الشور ولا ادري من اتق واذ
قدر الله الاجتماع بالناس لوامر حق او لضرورة حلو او حاجة فلا تعظيم من يغسل في الصحبة
والاجتماع الا بقدر الضرورة مع الاحتراز من يغسل من تصول الاقوال والافعال ومنهم من ساع فلا
فائدة فيه فان عدم الفائدة وصف الخسران والاستقامة عزيزة لو وجدت والسلامة عميمة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)